دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، ربيع ۱۳۹۲، العدد السابع عشر، صص۹-۲۵

نقد ودراسة الألوان فی أشعار نازک الملائکة

علی پیرانی‌شال*

خدیجة هاشمی**

الملخص

شغلت الألوان حيّزاً بارزاً من اهتمام الأدباء لإستخدامها فی النص الأدبی خدمةً للصور الشعرية عندهم؛ لأنّ الألوان تعتبر من العناصر الأساسية للصور الحسية فی الشعر، والألوان تحدث الثراء والجاذبية فی فضاء الصور البصرية، والشعراء المعاصرون يرسمون بالألوان صوراً تجلب المتعة والجمال. وإنّ حضور الألوان فی أشعار *نازک الملائکة* كغيرها من الشعراء المعاصرين يتكوّن ركناً فنياً أساسياً من الأركان التعبيرية والبلاغية، و*نازک الملائکة* قامت بتوظيف الألوان فی أشعارها علی مستوی وسيع ومنها اللون الأزرق والأصفر والأبيض؛ فتربط *نازک الملائکة* دلالة اللون الأبيض بالطهارة والنقاوة والأمل كما يحمل اللون الأزرق عندها معنی الهدوء، والصفاء، والصدق وترمز باللون الأصفر إلی الذبول، والفناء، وسوء الحال.

الكلمات الدليلية: دلالات اللون، الأزرق، الأصفر، الأبيض، نازک الملائكة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* عضو هيئة التدريس بجامعة الخوارزمی(أستاذ مشارک). Ali.piranishal@yahoo.com

** ماجستيرة فی اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمی.

الكاتب المسؤول: علی پيرانی شال

تاريخ الوصول: ۹۱/۶/۲۳ تاريخ القبول: ۹۱/۱۰/۵

المقدمة

قد زُيّنت الحياة منذ بدء الخلقة بالألوان الزاهية، والألوان تضفى الجمال والمتعة على حياة الإنسان؛ «اللون جزء من العالم المحيط بنا. وهو يلازمنا فى حياتنا، ويدخل فى كل ما حولنا. ونحن ننفق على النواحى الجمالية -سواء فى أنفسنا أو داخل بيوتنا أو خارجها- أضعاف ما ننفقه على شؤون المعاش الضرورية. ولا شكّ أن اللون يبرز كواحد من أهم عناصر الجمال التى نهتمّ بها، ونستعين بآراء المتخصصين والخبراء لتحقيقها»(عمر، ۱۹۹۷م: ۱۳).

إحتلّ اللون فى الثقافات والديانات المختلفة حيّزا هامّاً فى رؤية الإنسان للعالم؛ «ويطرح *غرهام كولبير*(*Graham Kolear*) مثالا للتدليل على ذلک فى إطار الوظيفة الرمزية للون فى الرسم الدينى البيزنطى فى القرون الوسطى؛ فالأزرق اللون الغالب على رداء العذراء الخارجى يرمز إلى النقاء والصفاء ويلمّح الأحمر إلى العاطفة البشرية والإنهماک الدنيوى ويمثّل الأخضر الخصب وحالة الأمومة بينما يستعمل الذهبى كأرضية للصورة ليرمز إلى ما هو مقدس»(عقيل، ۲۰۰۰م: ۳).

وأدّى اللون دوراً فاعلاً فى رسم الصور الشعرية بصفته وسيلة جوهريّة من وسائل التعبير التى أسهمت فى تجسيد المعنى وتعميقه، وتُعَدّ الألوان إحدى الوسائل الهامّة للتعبير عن الأشياء بأفضل صورها وتمييز بعضها عن بعضٍ فى الشعر؛ «تنبع أهمية اللون فى الشعر من أنه يشكل جزءاً أساسياً من نسيج النص الشعرى، فاللون على الرغم من أنه عنصر أقرب ما يكون إلى عالم الرسم، فإنه يمتلک فاعلية بصرية تخاطب الوجدان والشعور»(ربابعة، ۱۹۹۷: ۱۳۵۵)، وقد اهتمّت *نازک الملائکة* فى العديد من أشعارها باللون الأزرق والأصفر والأبيض اهتماماً بالغاً لذلک يبدو أنَّ نقد ودراسة هذه الألوان فى أشعارها ضرورى جداً.

أمّا هذه الدراسة فتحاول الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف تجلّت دلالات اللون الأزرق والأصفر والأبيض فى أشعار *نازک الملائکة*؟ كيف تستخدم الشاعرة هذه الألوان فى شعرها، مباشرة أو غير مباشرة؟

وقد تطرّقت *الدكتورة طيبه سيفى* فى رسالتها بالفارسية إلى دراسة اللون فى أشعار الشعراء المعاصرين وعنوانها: «بررسى و تحليل عنصر رنگ در اشعار سه شاعر نوپرداز بدر

شاكر السياب، و*عبدالوهاب البياتي*، و*عبدالمعطى حجازي*» ومن الدراسات التي يلزم ذكرها، مقالة «جماليات اللون في القرآن الكريم» لـ*مرتضى قائمي*، في مجلة «آفاق الحضارة الإسلامية»، و«ايقاع اللون الأبيض في شعر *بشر بن أبي خازم الأسدي*» لـ*خلف خارز الخريشة* في مجلة «جامعة أم القرى».

نبذة عن حياة الشاعرة

ولدت *نازك الملائكة* في بغداد بالعراق عام ١٩٢٣م، بعد أن أنهت دراستها الجامعية في بغداد حصلت على الماجستير في أمريكا. درّست في كلية التربية بجامعة بغداد، ثم بجامعة البصرة ثم بجامعة الكويت التي كانت آخر المطاف في حياتها التدريسية(شهاب، ٢٠١٠: ١٤).

نشأت *نازك الملائكة* في أسرة أدبية وكان له ميل قوي إلى الشعر والأدب منذ طفولتها (ممتحن و شمس آبادي، ١٣٩٠: ٢) واصدرت *نازك الملائكة* ديوانها الأول «عاشقة الليل» سنة ١٩٤٧، ثم ظهر ديوانها الثاني «شظايا ورماد» سنة ١٩٤٧، وديوانها الثالث «قرار الموجة» صدر سنة ١٩٥٧(خياط، ١٩٧٠: ١٥٨).

إنّ نظرة سريعة إلى دواوينها تجعلنا نؤمن أن الشاعرة كانت تعيش في عالم اليأس والألم والوحدة والغربة مع ذكريات الماضي(جحا، ١٩٩٩: ٣٥٩).

دلالات اللون الأزرق

يعتبر الأزرق من الألوان الباردة، «الألوان الزرقاء والقريبة من الزرقاء تسمّى ألوان باردة»(صقر، ٢٠١٠م: ٦٨)، على الرغم من أنّ الأزرق يمثّل لون السّماء والبحر لإتّساعِهما، أما اللغة العربية لا تقدم تفضيلاً لهذا اللون أو درجاته؛ «فلا نكاد نرى سوى بضع كلمات تدور حول الجذر (زرق) والأزرق هو اللون الأساسي الوحيد الذي لا نرى له محدّدات توصف حدوده العلمية من نقاء، أو إشراق، أو قتامة، أو تشبع، أو اختلاط بألوان أخرى» (علي، لاتا: ٢٣٩). ولا نجد دلالة التسمية على اللون الأزرق في اللغة العربية إذ يسمّى صاحب اللسان الزرقة؛ «البياض أينما كان أو الزرقة خضرة في سواد العين»(ابن منظور، ١٤٠٥ه: ج١٠/ ١٢٤)، وهذا يعني أن العرب القدماء لم يستعملوا اللون الأزرق على نحو ما

نعرفه اليوم؛ «لم يتحدد مدلول الأزرق عند العرب بل تداخل مع ألوان أخرى كالأبيض والأخضر. وهو إلى جانب هذا من الألوان النادرة فى الطبيعة، كما أن درجاته تتفاوته تفاوتاً كبيراً يقرّبه من الأبيض حيناً، ومن الأسود حيناً. فنحن نطلق على الأزرق الفاتح: لبنى أو سماوى، وعلى الأزرق القاتم: كحلى أو نيلى»(عمر، ۱۹۹۷: ۲۱۸).

الأزرق من الناحية النفسية يمثّل «الوقار، والسكينة، والهدوء، والصداقة، والحكمة، والتفكير، واللون الذى يشجّع على التخيّل الهادئ والتأمّل الباطنى ويخفّف من حدّة ثورة الغضب ويخفّف من ضغط الدم ويهدّئ التنفّس ويرمز إلى الصّدق، والحكمة، والخلود، والإخلاص»(الشاهر، لاتا: ۳).

قد جاء ذكره فى القرآن الكريم مرّة واحدة فى وصف وجوه المجرمين يوم القيامة وهو قول الله تعالى:

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾(طه/۱۰۲)

اللون الأزرق فى هذه الآية تعبير عن حالة الحزن والغيظ فى وجوه المجرمين فى المحشر، واستخدمه للإنذار والتخويف من العذاب.

الأزرق و دلالاته المباشرة فى أشعار نازک الملائكة

إحتلّ اللون الأزرق مساحة كبيرة فى أشعار *نازک الملائكه*، لما يتميّز به من الدلالات والمعانى التى تختلف فى المواضع الكثيرة فى أشعارها، فمنها ما يحتوى على الألفاظ الصريحة نحو الأزرق، والزرقة، والزرقاء و...، وأما *نازک* تبحث عن الحبّ فى أشعارها كثيرا، وهى تستخدمه لتضفى الحياة على الأموات فى قصيدة «جنازة المرح» رغم أنها تتحدّث عن قتيلٍ غير حقيقى فى هذه القصيدة وهو القلب نفسه:

وأرسلُ حُبّى يلِفُّ القتيلَ ... ويُدْفِئُ جَبْهَتَهُ الهامِدَةْ
لَعلّى أرُدُّ إليه الحَياةَ ... وأَمْسَحُ مِن زُرقةِ الشَّفَتَينْ

(الملائكة، ۱۹۶۸: ج۲/ ۱۵۰)

فحبّها، من وجهة نظرها، مصدر الدّفء والحياة، حتى لمن فقد حياته وتشير الزرقة فى الشفتين إلى المرض والتعب الناتج من الألم والتعذيب وهى إشارة للموت فى هذا البيت.

وترتبط اللون الأزرق فى أشعارها بعالم الصفاء أى السماء الصافية والبحر الهادئ:

وازْرِقاقُ الغُيومِ و البَحرِ ما عا دَ مُثيـــــراً لحبِّـــــهِ ورؤاهُ

(المصدر نفسه: ج۱/ ۳۳۵)

والغيوم لا تقترن بالضرورة باللون الأزرق، بل لعلاقته بالسماء، ودلالة الأزرق على الغيوم والبحر ارتبطت بالحب، إضافة إلى الراحة النفسية المنبعثة من هذا اللون.

واختيار الأزرق فى المرتبة الأولى يمثّل الهدوء والراحة النفسية، ولكـن تأخّرهـا يبـين القلق النفسى والإنعزال(لوشر، ۱۳۸۰: ۸۰-۸۱).

والعرب قد تشاءَم من الأزرق خاصّة فى العيون وارتبطت الزرقة عندهم بالعدوّ، والزرقـة فى العيون تدلّ على أعـدائهم مـن الـروم والـديلم(الزواهـرة، ۲۰۰۸م: ۶۸)، ولكـن *نـازك الملائكة* لوّنت العيون باللون الأزرق حتى يدلّ على الحب، والصفاء، والصدق وتأثّرها بشعراء الغرب، حينما تقول:

ذُو العُيونِ الزَّرقَاء ينبَعُ مِنها الشـــ ـعرُ والحـبُّ فـى صَـفاءٍ وَطُهْـرِ

(الملائكة، ۱۹۶۸: ج۱/ ۲۸۹)

وفى أشعارها يمتصّ السماء والبحر، لونَه من زُرقة العيون، ويدلّ علـى الهـدوء والراحـة النفسية:

«عَلَّنا بازْرقاقِ عَينَيکِ نَبْنِی

مِن جَديدٍ لَنا سماءْ»

(المصدر نفسه: ۳۱۵)

وقولها الآخر:

مُقلَتاهـا العَميقـانِ وجـودٌ أزْرَقُ اللـونِ نـاعمٌ وُضّـاءْ

مِنهُما تَنْبَعُ السَّماءُ ولونُ الـ ـبحرِ من نَعْسَـتيهما الأضْـوَاءْ

(المصدر نفسه: ۳۰۴)

ولذلک وصفت الحلم باللون الأزرق:

«كُنتُ نَشْوَى

فى ازْرقاقِ الحُلْمِ أمْشِى وأسائلْ»

(الملائكة، ۱۹۹۸: ۹۶)

کما وصفت السماء بالقوس الأزرق فی قصیدة «الماء والبارود»، حینما تشرح انحناء السماء کی تخیّم علی *إسماعیل* وتحمیه من حرارة الشمس:

«فردّد البیتُ العتیقُ تحتَ حُرِّ الشَّمسِ: إسماعیلْ
وانْحَنَتْ السَّماءُ قوساً أزرقاً یلثِمُ إسماعیلْ»

(المصدر نفسه: ۵۵)

الأزرق و دلالاته غیر المباشرة فی أشعار نازک الملائکة

نازک الملائکة عدلت أحیاناً عن إیراد اللون الأزرق بصورة مباشرة، فضمّته فی مدلولات ترادف إیحاءاته. مثلا اللون الأزرق یتجسّد فی لون السماء والبحر فی قصیدة «ویبقی لنا البحر»، حینما تسأل حبیبها عن البحر: هل تتغیّر ألوانه البحر:

«سُؤالُکَ لونُ سَماءٍ علی بِرَکٍ ودَوالی
سألتَ عَن البَحرِ هل تتغیّر ألوانُهُ؟»

(المصدر نفسه: ۳۱-۳۲)

کما تدلّ الزرقة فی العیون علی الأمل والبُشْرَی للوصول إلی الآمال فی الصباح الأبیض:

«وَیحْلُمُ، یرْنُو بِعَینَینِ شَذْرِیتَینْ
سَمَاویتَینْ
إلی اللانهایةِ، یأخُذُ لونَ الضِّیاءْ
صَبَاحاً ویُطْفِئُ کلَّ ثریاتِه فی المسَاءْ»

(المصدر نفسه: ۳۳)

والزرقة فی العین تعکس الهدوء والراحة النفسیة:

«نَضْحَکُ نَبْکِی، وَعَیناکَ تَعْکِسُ لَونَ البَحَرْ»

(المصدر نفسه: ۴۴)

الأزرق المتجسّد فی تعبیر "بحریة الشفتین" وزرقة النهر وجمالها تبعث مشاعر وأحاسیس الشاعرة حتی تنشد:

«وَیسْکِبُ بَرْدَ اللیالی
وَزُرْقَةَ أمواجِه فی مَدَی مَقْطَعینِ

وَيبْعَثُ أَنْشُودَتی عَذْبَةُ الحِبْرِ بَحْرِيةُ الشَّفَتَينْ»

(المصدر نفسه: ۱۳۹)

دلالات اللون الأصفر

اللون الأصفر هو أحد الألوان الساخنة، فهو «يمثّل قمّة التوهّج والاشراق ويعدّ أكثر الألوان إضاءة ونورانية، لأنّه لون الشمس ومصدر الضوء، واهبة الحرارة، والحياة، والنشاط، والسرور. واستخدمه المصريون القدماء رمزاً لإلهة الشمس وللوقاية من المرض»(الشاهر، لاتا: ۳).

اللون الأصفر يثير الفرح والسرور وهو مبهج، «الأصفر المرتبط بالبياض وضوء النهار يثير التحفّز والتهيؤ للنشاط»(عمر، ۱۹۹۷: ۱۵۴)، وأيضاً يحمل دلالة الحزن، والضعف، والفناء، والذبول؛ «ربما دلالة هذه ترتبط بالخريف وموت الطبيعة والصحارى الجافّة وصفرة وجوه المرضى»(قائمی، لاتا: ۳۸۹). فاللون الأصفر وإن دلّ على المرض؛ فإنّ ايجابيته تكمن فی الخير المرتبط بالخصب والوفرة، فهو رمز لأغلى المعادن وأنفَسُها الذهب، ويدلّ على المادة الأساسية فی غذاء الانسان القمح؛ فهو غلته ومصدر رزقه وأحياناً يمنح اللون الأصفر الدّفء، والضّوء، والبقاء(الزّواهرة، ۲۰۰۸م: ۱۲۳)، كما قد ورد اللون الأصفر فی القرآن الكريم كثيراً ويحمل دلالات وايحاءات متعدّدة ومنها: قال الله تعالى:

﴿قَالُواادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾

(البقرة/۶۹)

وقد جاء اللون الأصفر فی وصف بقرة بنی اسرائيل، والإصفرار فی هذه الآية يدلّ على الإنشراح والسرور، أمّا ما عدا ذلک لا نجد لهذا اللون دلالة إلا ما يدلّ على الفناء والموت حيث يقول:

﴿ولَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾(الروم/۵۱)

ويصوّر القرآن فی هذه الآية عناد المستكبرين، حتى ولو ظهر لهم الرّيح الأصفر القاتل فإنّهم يظلّون على كفرهم فلا ينفع معهم التخويف لقسوة قلوبهم. وهو أيضا تعبير لونی عن مرحلة هامّة من مراحل الدورة النباتية؛ والمصفر وصف لنبات يدلّ على الفناء والعذاب

كما يدلّ على قدرة الله تعالى الذى يجعل الخضرة والنمو، والإزدهار صفراً ويبساً(حمدان، ۲۰۰۲م: ۴۷-۴۸).

الأصفر و دلالاته المباشرة فى أشعار نازک الملائكة

ترسم *نازک الملائكة* صورة فصل الخريف بالأصفر، حينما تشرح ما يحدث فى الطبيعة من الوقائع والتغييرات:

وَغُصُونُ الأشجارِ مُصْفَرَّةُ الأو راقِ والزَّهرُ ذابلٌ مُكْفَهِرّ

وَرياحُ الخَريفِ تَعْبَثُ بالأوْ راقِ والسُّحبُ فى الفَضاء تَمرّ

(الملائكة، ۱۹۶۸: ج۱/ ۱۶۳)

اللون الأصفر فى هذه الأبيات، يدلّ على الذبول والفناء ولعلّ الدلالة هذه، ترتبط بالخريف وموت الطبيعة كما تقول:

وَسَواقِى المياهِ تَجمُدُ صَفرَا ءَ كَصَحراءَ جَفَّ فيها الماءُ

(المصدر نفسه: ۳۴۰)

وفى قصيدة «الماء و البارود» يدلّ على سوءِ الحال والجدباء، حينما تصف حال جنود مصر فى صحراء سينا وما يعانونهم من عطش:

«جُنودُ مِصرَ فى تِلالِ النّارِ والحُمَّى

وَصُفرةُ الرُّبَّى المبَعثَرةْ

جَاعُوا لوَجهِ اللهِ ذاقُوا لَذْعَةَ الصِّيامْ»

(الملائكة، ۱۹۹۸: ۴۸-۴۹)

و*نازک* فى قصيدة «صلاة إلى بلاوتس» تصف "الخيالات التبرية" باللون الأصفر:

هكذا تَنتَهِى خيالاتُکَ التِّبـ ـريةُ الصُفْرُ للأسَى الأبدىِّ

(الملائكة، ۱۹۶۸: ج۳۴۲/۱)

"الخيالات التبرية الصفر" تشير إلى الأشخاص الذين لا يرون من الحياة إلا المال وجمعه، ومصير حياة هؤلاء الأشخاص ينتهى إلى الأسى والحزن.

والصفرة فى الوجه تحمل دلالة المرض وسوء الحال:

«لم يَبقَ بِناءٌ لم تُحَمِّرْ أعاليه

لم يَبقَ زُقاقْ
حتى فى صُفرَةِ خَدِّينا»

(المصدر نفسه: ج۲/ ۲۴۲)

الأصفر و دلالاته غير المباشرة فى أشعار نازک الملائكة

فى قصيدة «ثورة على الشمس»، تتحدّث عن الوجه الشاحب الذى يوحى اللون الأصفر ويدلّ على المرض وسوء الحال:

مَهلاً ولا يَخدَعک حزنُ ملامحى وَشُحُوبُ لَونى وارتعاشُ عواطِفِى

(المصدر نفسه: ج۱/ ۴۸۶)

وارتبطت دلالة هذا اللون بالخريف ويحمل معنى الذبول، والفناء، والكسل:

«يَسْقِطُ النّورُ عَلى وَجْهَينِ فى لَونِ الخَرِيفْ
أوَ لا تُبْصِرُ؟ عينُانا ذُبُولٌ وبُرُودُ
أوَ لا تَسمَعُ؟ قلبُانا انطفاءٌ وخُمودُ»

(المصدر نفسه: ج۲/ ۱۲۰)

دلالات اللون الأبيض

هو أول الألوان الموسومة بالفئة الباردة التى تثير الشعور بالهدوء والطمأنينة، ومن وجهة النظر الإجتماعية هو لون الطّهارة والصّفاء، «إنّ معنى الصفاء والنقاوة هو المقصود فى اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لباساً اثناء الحجّ والعمرة وكفناً للميت»(الدّورى، ۲۰۰۲م: ۲۵)، ولذلک حرص *الرسول(ص)* على إختيار هذا اللون، وحثّ أصحابه وقومه على اتّخاذه فى حياتهم اليومية؛ فيروى أن *الرسول(ص)* قال:«ألبِسُوامِن ثِيابِكم البَياضِ فإنّها خَيرُ ثِيابِكم وكَفِّنُوافِيهاموتاكُم»(احسائى، ۱۴۰۵ه.ق: ج۱/ ۱۶۷)، كما وصف الملة الإسلامية بالبياض حينما قال: «لقدتركتم على المحجّة البيضاء»(مجلسى، ۱۴۰۴ه.ق: ج۱۶/ ۱۱۸) لأجل معنى الصفاء والنقاوة للون الأبيض فقد إختار *الرسول(ص)* لواء بيضاء يوم فتح مكة(عمر، ۱۹۹۷: ۲۲۲-۲۲۳).

وعلى الرّغم من أنّ هذا اللون يمثّل غالباً حالة ايجابية، إلا أنه قد يحمل معنى التشاؤم والسّلبية، «فاللون الأبيض ارتبط بأذهاننا بمعنى النقاء دائماً، لكنّه قد تمثّل حالة سلبية، فيرمز إلى المرض والسوء»(الزّواهرة، ۲۰۰۸م: ۷۷)، وهذا متمثّل فى الآية التالية:

﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾(مريم/۴)

"الشيب" الذى يعكس اللون البياض، يجسّد زمن الشيخوخة ويدلّ على افول الحياة، وزوالها، والكهولة، والفناء.

الأبيض و دلالاته المباشرة فى أشعار نازک الملائكة

اللون الأبيض يتّخذ دلالات مختلفة فى أشعار الشعراء، و*نازک الملائكة* منحت هذا اللون العديد من الدلالات، وهى فى قصيدة «نداء إلى السعادة» تقول:

«سَنَبْنِى هُنا مَعابِدَ بَيضاءْ
فَوقَ أرْضٍ مِن الرَّجَاءْ
غَسَلَتْ صَدْرَها الفَسِيحَ العَريضا
أدمُعُ اليأسِ والشَّقَاءْ»

(الملائكة، ۱۹۶۸: ج۳۱۸/۱)

ونعتت المعابد بالبياض، ويتّخذ اللون الأبيض دلالة الرّجاء والتفاؤل والنصر، وتحقّق ما هو تنتظره، والشاعرة تأمل أن يصل الناس إلى السعادة بعد يأسهم وخيبتهم، لأنّ الأبيض نقطة العطف ويبيّن العمل المفرط(لوشر، ۱۳۸۰: ۹۷).

واللون الأبيض يحمل معنى النقاء والبراءة والطهارة فى هذه الأبيات، إذ تقول الشاعرة:

«كَيفَ يحْيا الْبَياضُ فى هذهِ الأوْعِيةِ
السَوداءِ فى خُمُودِ الصُّدورِ»

(الملائكة، ۱۹۶۸: ج۲/ ۱۸۴)

و*نازک* فى قصيدة «أغنية للحزن» تتغنّى بالحزن، من شدة إمتزاجها به، وأصبحت بينه وبينها علاقة حبّ وطيدة، وتعبّر عن هذه الصورة الشعرية للحزن بالجبين الأبيض المشتقّ من الثلوج لتبعث الهدوء، والطمأنينة، والإسترخاءِ:

«أفْسِحُوا الدَّرْبَ له، لِلقادمِ الصَّافِى الشُّعُورِ

لِلغُلامِ المرْهَفِ السَّابحِ فی بَحرٍ أریجِ
ذِی الجبینِ الأبیضِ السّارقِ أسرارَ الثلوجِ
إنّه جاءَ إلینا عابراً خِصْبَ المرورِ»

(المصدر نفسه: ۳۱۱)

فی قصیدة «الزنابق الصوفیة للرسول» تأتی بالزنابق البیضاء لتدلّ علی الأمل والهدوء:

«یا طائرَ الفَجرْ
یا جَناحَ الزَّنابِقِ البِیضْ
یا حَیاتِی
یا بُعدیَ الرّابِعَ الموَسَّدْ»

(الملائکة، ۱۹۹۸: ۸۱-۸۲)

وقد وظّفتْ الشاعرة اللون الأبیض فی وصف ظواهر الطبیعة ومنها، الثلوج والکواکب:

رَقَدُوا فی العَرَاءِ تحتَ الثُّلوج الـ ـــبیضِ لا مَوقِـــدٌ ولا نِیـــرانُ

(الملائکة، ۱۹۶۸: ج۱/ ۶۷۱)

ووصفت الکواکب بالأبیض وتقول:

والزُّهور التی تَحُـفُّ بشَـطَّیهِ شـــظایا کَواکِـــبٍ بَیضـــاءِ

(المصدر نفسه: ۳۲۸)

وقالت فی مکان آخر:

«حَیثُ أَلْقَی فی المدِیِّ وجْهُ مَلِیکی
کَبَیاضِ الثَّلْجْ»

(الملائکة، ۱۹۹۸: ۱۵۸)

تشبّه وجه الله تعالی بالثلج لیدلّ علی علو شأنه من خلال ما یوحی به من بهاء واشراق، «کلمّا وردت کلمة "ملیکی" أو "ملکی" فی قصائد هذه الفترة من حیاتی، فأنا أرید بها الله تعالی مالک الملک وملک الملوک، وهو اسم أطلقه الخالق علی نفسه فی القرآن فهو أحد أسمائه الحسنی کما فی قوله: "عند ملیک مقتدر"، "هو الله الذی لا إله إلا هو الملک" وسوی ذلک» (المصدر نفسه: ۲۲۱).

وقد لوّنت الجبل الذی کلّلته الثلوج بالأبیض:

عِندَ نَبْـعٍ مـن قُنّـةِ الجبـلِ الأبــ ـيضِ يجْرى تحتَ السَّـنا والظِـلالِ

(الملائكة، ١٩٦٨: ج١/ ٩٢)

وفى مكان آخر قد لوّنت القنّة بالبيضاء للتعبير عن طهارتها وصفائها:

هــؤلاءِ الزُّهَــادُ فــى القُنّــةِ البيــ ــضَاءِ حَيثُ الصَّفاءُ مِلءُ الوُجُـودْ

(المصدر نفسه: ٧٩)

وقد أوردت اللون الأبيض من باب التفاؤل والأمل:

ربّمــا لاحَ بــارِقٌ كشِــراعٍ أبْيضِ الوَعْدِ فى الظَّلامِ الثَّقيـلْ

(المصدر نفسه: ٣٠٠)

و فى بعض الأحيان اللون الأبيض يكون للتعبير عن شدة البرودة:

طالما من أمواجِـک البـاردَاتِ الــ ـبيضِ أتْرَعْتُ فى الأماسِى كَأسِـى

(المصدر نفسه: ۶۶۷)

الأبيض و دلالاته غيرالمباشرة فى أشعار نازک الملائكة

فقد استخدمت *نازک الملائكة* اللون الأبيض بصورة غير مباشرةٍ فى قصـيدة «الغـروب» فى لفظ "الضياء" الذى يعدّ من موحيات اللون الأبيض؛ وتؤكّد إحاطة اللـون الأسـود كـلّ العالم وخلاه من اللون الأبيض:

«غَرِقَ الضَّوءُ وراءَ الأُفقِ
وَخَلا العَالَمُ مِن لَونِ الضِّياءْ
لَيسَ إلاّ رَمَقٌ فى الشَّفَقْ
وأنا تِمْثالُ حُزْنٍ مُحْرَقِ»

(المصدر نفسه: ۵۴۰)

و*نازک الملائكة* فى أشعارها رسمت عـدداً مـن اللوحـات الطبيعـة الرائعـة، وفـى هـذه القصيدة رسمت لوحة الغروب ذاته، وما ترک فى نفسها من أثر حـزين محـرق. فقـد أتـت بالضوء بصيغة الفعل المضارع ليدلّ على بياضة الأرض و دوامها:

«قَمَرٌ يضَوَّءُ فى دُجاه كلُّ أرضى»

(الملائكة، ١٩٩٨: ١٢١)

يكشف الفجر ولونه الأبيض عند *نازک الملائكة*، عن تفتّح الحيـاة بعـد الآلام والمآسـى الكثيرة وإيذانًا بالأمل، والرَّجاء، والإشراق:

جَزيـرةٌ فـى الـدُجَى مُعلَّقـةٌ فَجرِيــةُ اللــونِ و التَّباشــيرِ

(الملائكة، ۱۹۶۸: ج۲/ ۴۷۹)

وفى قصيدة «مرايا الشمس» تقول:

«وَجَبينُ فَجْرى ضَاعَ مِنّى

والضَّبابُ دَنا وَأسْدَلَ سِتْرَهُ»

(الملائكة، ۱۹۹۸: ۱۲۵)

والزنبقة بلونها الأبيض تدلّ على تحقّق الآمال والإنتصار:

«وَحَرَثْتُ صَخْراً

وَ لمْ أجِدْ فى الصَّخْرِ زَنْبَقَةَ انتِصَارى»

(المصدر نفسه: ۱۲۵)

وقد يثير الربيع وجماله أشواق الشاعرة إلى الحياة، فتتذكّر ذكرياتها وأيامها الجميلـة، وتعبّر عنها بالذكريات البيض:

أتركينـــى أرَ الربيـــعَ طيـــوراً لــيس ينْــوى لهــا الأذَى مُغْتَــالُ

وَدَعِينــى أعــشْ مــع الــذكريات الـ ــبيضِ فى أمْسى الجَميلِ الرّاحـلْ

(الملائكة، ۱۹۶۸: ج۱/ ۱۷۷)

وفى القصيدة الأخرى «ذكرى مولدى» تقول:

وَخَبَت ذكرياتُهُ البـيضُ فـى بحــ ـرِ شعورى و ليلِ قلبى و نفسـى

(المصدر نفسه: ۴۷۰)

الدراسة الإحصائية للألوان فى أشعار نازک الملائكة

المخطط البيانى الآتى يبيّن تدرّج تواتر الألوان الأساسية فى مجموعـة كاملـة لأشـعار *نازک*، ويلاحظ فيه غلبة اللون الأسود على سائر الألوان:

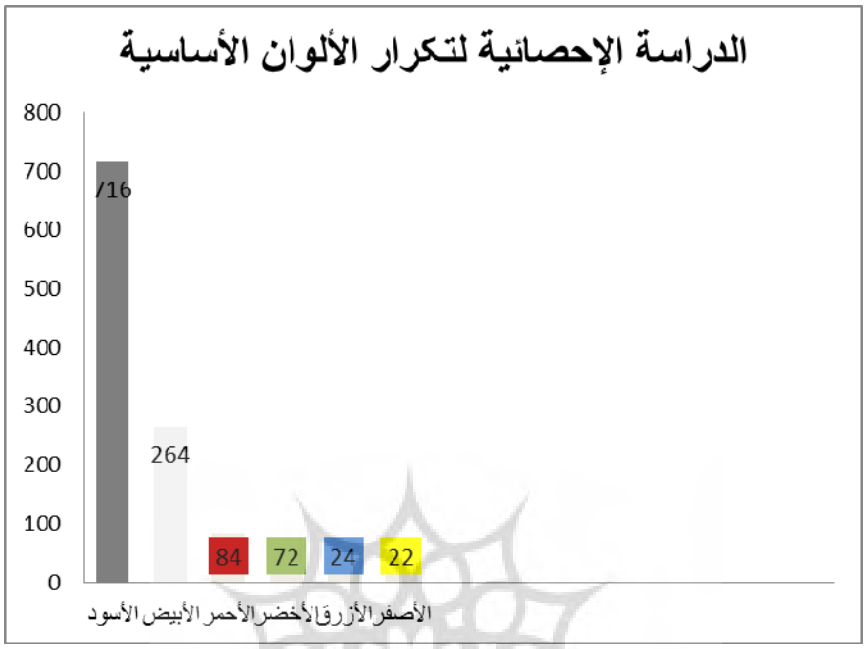

اللونان الأسود والأبيض تناولتهما *نازک الملائکة* كثيراً في أشعارها، ويعتبر اللون الأسود أكثر ورودا إذ تكرّر سبع مائةٍ وست عشرة مرّة، و يجيء الأبيض بعد الأسود وقد ورد مائتين وأربع وتسعين مرّة، وبعد الأبيض جاء حضور اللون الأحمر أربع وثمانين مرّة، وأما الأخضر فورد إثنتين وسبعين مرّة، وبعده يجيء اللون الأزرق أربع وعشرين مرّة، و ورد الأصفر إثنتين وعشرين مرّة.

النتيجة

تستعين *نازک الملائکة* من اللون بصورة مباشرة و غير مباشرة للتعبير عن المشاعر النفسية وأفكارها؛ فاللون الأبيض يجيء في المرتبة الثانية بعد اللون الأسود في أشعارها، وهي تواصل الصراع الدائم بين الأسود والأبيض، وهذا الأمر يمثل سعي الشاعرة لإيجاد التوازن في الحياة بين القضايا السلبية والإيجابية، لأن الأبيض نقطة العطف، ولكن أشعارها تبيّن عجزها عن إحلال السعادة محلّ الشقاوة. وتأتي باللون الأبيض من باب التفاؤل والأمل والهدوء النفسي وترمز به إلى الطهارة والنقاوة.

وتأخر الأزرق فی التدرج اللونی فی أشعارها بسبب الإنزعاج و القلق النفسی و تفکّک علاقاتها مع الآخرین، وتشیر *نازک* نفسها برغبتها إلی الإنعزال فی کتابها «لمحات من سیرة حیاتی وثقافتی»، واللون الأزرق عندها یحمل معنی الهدوء، والصفاء، والصدق. ویجیء الأصفر بعده ودلالته ترتبط بالخریف وموت الطبیعة وتحمل معنی الذبول، والفناء، وسوء الحال.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن منظور. ۱۴۰۵هـق. **لسان العرب**. قم: نشر أدب الحَوزَة.

احسائی، ابن أبی جمهور. ۱۴۰۵هـق. **عوالی اللآلی**. ط۱. قم: انتشارات سید الشهداء.

جحا، میشال خلیل.۱۹۹۹. **أعلام الشعر العربی الحدیث من أحمد شوقی إلی محمود درویش**. ط۱. بیروت: دار العودة.

حمدان، نذیر. ۲۰۰۲م. **الضوء واللون فی القرآن الكريم: الإعجاز الضَّوئی - اَللّونی**. ط۱. دمشق. بیروت: دار ابن کثیر

الخیاط، جلال. ۱۹۷۰. **الشعر العراقی الحدیث**. لا ط. بیروت: دار صادر.

الدّوری، عیاض عبد الرحمن. ۲۰۰۲م. **دلالات اللون فی الفن العربی الإسلامی**. ط۱. بغداد: دار الشؤون الثقافیة العامة.

الزّواهرة، ظاهر محمّد هزّاع. ۲۰۰۸م. **اللون ودلالاته فی الشعر: الشعر الأردنی نموذجاً**. ط۱. عمان: دار الحامد.

شهاب، کاتیا. ۲۰۱۰م. **نازک الملائکه لا للکعب العالی! لا لأفلام العصابات**.ط۱. بیروت: مرکز الدراسات و الترجمة.

صقر، إیاد محمد. ۲۰۱۰م. **فلسفة الألوان**. ط۱. بیروت: دار الأهلیة.

علی، إبراهیم محمد. لاتا. **اللون فی الشعر العربی قبل الإسلام(قراءة میثولوجیة)**. ط۱. طرابلس: دار جروس برس.

عمر، أحمد مختار. ۱۹۹۷م. **اللغة و اللون**. ط۲. القاهرة: دار عالم الکتب.

لوشر، ماکس. ۱۳۸۰. **روانشناسی رنگ‌ها**. ترجمه ویدا ابی زاده. چاپ شانزدهم. تهران: درسا.

مجلسی، محمد باقر. ۱۴۰۴هـق. **بحار الأنوار**. بیروت: مؤسسة الوفاء.

الملائکة، نازک. ۱۹۶۸م. **دیوان**. المجلد الأول و الثانی. لاط. بیروت: دار العودة.

ـــــــــ . ۱۹۹۸. **یغیر ألوانه البحر**. لاط. القاهرة: آفاق الکتابة.

المقالات

شاهر، عبدالله. لاتا. «**الأثر النفسی للون**». مجلة الموقف الأدبی، العدد۳۷۹. صص۳-۱۲.

عقیل، جهاد. ۲۰۰۰م. «**الالوان المکتوبة مدخل إلی الالوان فی الشعر**». مجلة التراث العربی. العدد ۳۶۲. صص۳-۷.

قائمی، مرتضی. لاتا. «**جمالیات اللون فی القرآن الکریم**». مجلة آفاق الحضارة الاسلامية. العدد ۲۱. صص۳۸۹-۳۹۹.

ممتحن، مهدی و حسین شمس آبادی. ۱۳۹۰. «**الاغتراب عند نازک الملائکة**». فصلية دراسات الأدب المعاصر. جامعة آزاد الاسلامية فی جيرفت. العدد الثانی عشر. السنة الثالثة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی